2

ذئبان يتصارعان

قال سندباد :

كان أشرس واقفًا في الظلام على مقربة منا يسمع إلى حديثنا فلما سمع ما قاله الشيخ، اندفع إليه وارتمى فوقه، وجثم على صدره وهو يقول له: لن يكون الكنز لك ؛ لأنه كنزي، ولن يناله أحد غيري!

ولم أجد من المروءة أن أترك الشيخ فريسة في يد ذلك الشرير، فارتميت فوقه أضربه بجمع يدي دفاعًا عن الشيخ، ولكنه لم يلبث أن قام، ثم التفت إليَّ وهو يقول مهدِّدًا : والله لأقتلنَّك!

ثم اندفع إليَّ اندفاع الوحش، فاجتمعت قوتي كلها في رجليَّ وأخذت أجري، وأشرس يجري ورائي؛ وكلما سمعتُ وقع خطاه خلفي أسرعت في الجري؛ ولكن خوفي منه أعماني عن الطريق، وكان طريقًا كثير العثرات والحُفَر، فلم أشعر إلا وأنا في قاع حفرة منها؛ وقبل أن أتدبَّر أمري رأيت ظلَّه يثب إلى الحفرة، ثم وقعَ في قاعها مثلي؛ ولكن سقطته كانت عنيفة، فإنَّ جسده لم يكد يمس القاع حتى صاح صيحةً شديدةً ثم سكت، فظننته قد مات، وانحنيت

فوقه لأعرف ماذا به، وقد نسيت كل ما كان بيني وبينه من العداوة؛ ولكني لم أكد ألمسه حتى أفاق وصاح صيحةً أشد، فتراجعتُ عنه خائفًا وأنا أقول لنفسي : "لماذا أسعى إلى الشرِّ برجلي"

ولم تكن الحفرة عميقة كما ظننتُ في أول الأمر، فاستندت بيديَّ على جدارها وهممت أن أثب هاربًا؛ ولكني رأيتُ شبحًا يدنو من الحفرة وهو يقول بصوت مبحوح : من هناك؟

فظننتُ أنه الشيخ وقلت مطمئنًّا : أنا سندباد!

فلم أكد أقولها حتى ظهر لي الشبح واضحًا؛ فإذا هو حنظل فقلتُ لنفسي قلقًا : لقد نجوتُ من شرٍّ لأقع في شرٍ مثله!

ولكني اصطنعتُ الهدوء والطمأنينة وقلت في صوت طبيعي : أنت حنظل؟ لقد جئت في اللحظة الملائمة؛ فأين أبو الإسعاد ؟

فقهقه ضاحكًا وقال : إنه بعيدٌ عنك فلن يبلغه صوتك!

وعرفتُ نغمة التهديد في كلامه، ولكني تجاهلت ذلك، وقلت وأنا أثب من الحفرة : أدرك صاحبنا بالحفرة يا حنظل، فإنه جريح مرضوض العظم!

فأجابني في لهفة: الشيخ بالحفرة ؟

ولم ينتظر جوابي، إذ وثب إلى الحفرة وهو يظنه بها، ليعجِّلَ بالخلاص منه؛ ولكنه لم يكد ينزل حتى رأى أشرس، فثارت في نفسه البغضاء، وهجم عليه وهو يقول : قتلني الله إن لم أقتُلْك يا خائن !

ولم يلبثا أن تماسكا وعلا صياحهما؛ فقلت لنفسي : دع الذئب للذئب يأكله وانج بنفسك يا سندباد!

ثم أسلمت رجليَّ للريح عائدًا إلى الشيخ، فإذا هو مقبلٌ نحوي وفى وجهه أمارات قلق شديد، فابتدرني قائلًا في لهفة : ماذا فعلت؟ وكيف خلصت من أشرس؟

قلت ضاحكًا : لقد خلصت من أشرس ومن حنظل جميعًا؛ فقد تركتهما متماسكين وقد أقسم كلٌّ منهما أن يقتل صاحبه!

قال الشيخ وقد زاد قلقه : وماذا جاء بحنظل إلى هنا وقد تركناه منذ ساعات مع أبى الإسعاد ؟ ..وأبو الإسعاد ماذا جرى له ؟

قلت : لا تخف عليه، فإنه – في ما أرى – يحسن الدفاع عن نفسه!

قال وهو يقترب من الحفرة التي يقتتل فيها اللصان: بل أنا خائف عليه يا سندباد، وأخشى أن يكون حنظل قد غدر به؛ فإن صاحبك أبا الإسعاد رجل ذو قوة، ولكنه طيب القلب يسهل خداعه!

وكان اللصان ما يزالان مشتبكين في عراك عنيف، ولكن الشيخ هجم عليهما قائلًا : كفى أيها الصديقان !

فأجاب كل منهما في نفس واحد : بل دعني أقتل ذلك الخائن !

قال الشيخ وهو يوليهما ظهره : أسأل الله أن يحقق لكما ما تريدان !

قلت : أنتركهما يا عم ؟

قال وهو يبتعد : لو لم يقتتلا لانفرد كل منهما بواحد منا ليقتله !

وبلغنا الموضع الذي تركنا فيه أبا الإسعاد جالسًا مع حنظل منذ ساعات، ولكننا لم نجده حيث كان، فأسرعنا إلى حيث كان الزورق مربوطًا، ولكننا لم نجده كذلك : فصرَّت أسنان الشيخ غيظًا ثم أردف : إن صاحبك أبا الإسعاد رجل فيه غفلة وحمُقْ، وأظنه قد استبطأ عودتنا فذهب.

وانقطعنا عن إتمام الحديث حين سمعنا أصوات مجاديف تضرب الماء متتابعة في نظام وهى تقترب منا، فقال الشيخ : أيُّ شرٍّ يقترب منا الساعة يا ترى؟ تعال نختبئ يا سندباد حتى نعرف ما شأن هؤلاء القادمين إلى هذا الشاطئ في ظلام الليل !